

وجود الله فوق مجرد الشبهات

إن وجود الله هو أول الحقائق وكبرها وأظهرها ، دلت على ذلك الفطر والعقول والبصائر ، وهدى إليه العلم والوحي والتاريخ .

والذين جادلوا في وجود الله قلة مغمورة ، في كل عصر ، ومعظمهم ممن جرفتهم الشهوات ، وغلبتهم الغرائز الدنيا ، فبرروا هبوطهم وانحرافهم بالإلحاد ، وإنكار وجود الخالق الأعلى ، حتى لا يحاسبهم أحد ، ولا يحاسبوا أنفسهم على السقوط والانغماس في الملذات البهيمية .

ولا غرو أن قال بعض المفكرين في إلحاد هذا النوع من الناس : إنه إلحاد بطن وفرج لا إلحاد عقل وفكر . يعني أنهم يَنَحَلُّون أولاً ثم يُلْحِدُونَ ثانياً ، وبتعبير علماء النفس : إن الإلحاد والإنكار عندهم ضرب من الحيل اللاشعورية لجأوا إليه لتبرير انحرافهم والدفاع عن

سقوطهم وسوء سلوكهم ، وتغطية ضعفهم أمام الشهوات والملذات .

ومن هنا لم يكن همّ الأنبياء منصرفاً إلى إثبات وجود الله - سبحانه - فقد كان هذا أمراً مفروغاً منه ، ومسلماً به لدى أقوامهم . إنما كان أكبر همهم تنقية الإيمان بالله مما شابه من أدران الوثنية ونجاسة الشرك الذي أفسد عقول البشر ، وجعلهم عبيداً لبعض الأشياء التي سخرها الله لهم ، وجعلهم سادة عليها . كان أكبر همهم الدعوة إلى التوحيد ، كان أول ما يدعو إليه الرسول ، وأبرز ما ينادي به قومه : **﴿ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾** (الأعراف: ٥٩ ، ٧٣ ، ٦٥) ، **﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾** (النحل: ٣٦)

ولما بعث محمد ﷺ وجد قومه - كما وجد سائر الأمم - يعبدون مع الله آلهة أخرى من مخلوقات الأرض وكواكب السماء ، ولكنهم لم يجحدوا وجود الله ، ولا جادلوا فيه ، وهذا ما قرره القرآن بأجلى بيان : **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾** (الزمر: ٣٨) . وإذا كان هناك فئة قليلة من الدهريين الملحدين ، فإن القرآن لم يقم

لهم وزناً . ولم يعتد بوجودهم ، لأنهم يتحدثون الفطرة
والبداهة والحس . ووجه خطابه - أكثر ما وجهه - إلى
الذين أشركوا ، ولهذا كان أول ركن في رسالة الإسلام
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء: ٣٦).

وكانت دعوة الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض وأباطرتها
تتمثل في هذه الآية : ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤) .

● سبب الإلحاد في أوروبا

ولكن ظروفاً خاصة مرت بأوروبا المسيحية في القرن
التاسع عشر الميلادي وما قبله ، جعلت كثيراً من المتتورين
من أهلها يكفرون بالدين ، ويجحدون الله أو يشكون فيه ،
والواقع أنهم لم يكفروا بالدين الحق ولا بالإله الحق ،
وإنما كفروا بإله الكنيسة الغربية ودينها .

ولقد وقفت الكنيسة في أوروبا تؤيد الظلام وتحارب
النور ، وتؤيد الجهل وتحارب العلم ، تؤيد الإقطاع
وتحارب العدل ، وتؤيد الملوك وتحارب الشعوب ، تؤيد
الخرافة وتحارب الفكر . . إلخ . فلما اندلعت الثورات

الداعية إلى الحرية والمساواة كان نداء رجالها « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

لقد حكمت الكنيسة يومئذ بإعدام الألوف من العلماء والمفكرين ، وتخريق أجسادهم بالمسامير ، بل حاكمت جثثهم بعد موتهم .

فعلت الكنيسة ذلك كله باسم الدين ، وباسم الله ، وباسم المسيح . فلما رأى ذلك أحرار الفكر ، وعشاق العلم ، كفروا بإله تمثله هذه الكنيسة ورجالها . وآمنوا بما عندهم من العلم . وأعظم ما زهدّ الناس في الدين فساد دعائه ، وانحراف منتحليه ، خصوصاً في دين يحجر على الناس أن يعرفوا الله ، أو يتصلوا به ، أو يطرقوا بابه إلا عن طريق طبقة كهنوتية خاصة تسمى « رجال الدين » ، ومن هنا قامت في أوروبا مذاهب تقوم فلسفتها على الحس والمادة ، وتنكر ما وراء ذلك من « الغيبيات » فلا إله ولا وحى ولا ملائكة ولا آخرة ولا جنة ولا نار .

وبلغ الجحود والإلحاد قمته في المذهب « الماركسى » الذى تبنى ما زعمه « نيتشة » : أن « الدين أفيون الشعوب »

وما زعمه غيره من أنه « ليس إلا حيلة اخترعها الأغنياء والأقوياء ، ليلهو بها الضعفاء والفقراء ، ويمنوهم بنعيم الآخرة ، لينفردوا هم بنعيم الدنيا » . وقال كارل ماركس في ذلك : « إن الله لم يخلق الإنسان . بل الصواب أن الإنسان هو الذي خلق الله » .

● رذاذ من الإلحاد يصيب الشرق

ولما أخذ الغزو الفكري يزحف على ديار العرب والإسلام ، انتقل رذاذ من موجة الإلحاد الغربي إلى العالم الإسلامي ، فوجد من أبناء المسلمين^(١) من يرتاب في وجود الله أو يجادل فيه ، بعضهم من أولئك الذين تخرجوا في جامعات الغرب ، وعلى أساتذته ، وبعضهم من الذين تأثروا - أخيراً - بالدعاية الماركسية ، والشيوعية ، وكلا الفريقين طبق على الدين هنا ما ذكره الغرييون عن الدين هناك ، مع الفرق الواضح بين الإسلام في الشرق والمسيحية في الغرب .

(١) بدأ الإلحاد أولاً بين النصارى مثل شيلي شميل في لبنان وسلامة موسى في مصر ، ثم انتقلت العدوى إلى المسلمين .

هؤلاء يزعمون أنهم مجدّدون وهم في الواقع مقلّدون ،
يفكرون برؤوس الغربيين ، ويردّدون أفكار فريق منهم
عفى عليه الزمن ، ومضى عليه قرن أو قرنان ، ومع هذا
يدعون أنهم علميون وتقدميون ، وهم كما وصفهم
القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (الحج: ٨).

• دلائل وجود الله

ومن باب التنزل مع هؤلاء المرتابين والمجادلين ،
اضطر الذين يكتبون في عقيدة الإسلام أن يبدأوا بإقامة
البراهين على وجود الله سبحانه ، ليرتكز الإيمان على
أساس عقلي متين ، مع أن الأمر أبسط وأوضح من أن
يحتاج إلى برهان أو كما قال الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
فما البراهين والأدلة التي يقدمها المؤمنون لإثبات وجود
الله - عز وجل - لدى الشاكين والملحدين ؟

* * *